عزو نشأة القراءات القرآنية
إلى اختلاف مَرْسُوم المصاحف العثمانية
عرض ونقد

إعداد

د. حبيب الله بن صالح بن حبيب الله السُّلمي

أستاذ مساعد بقسم القراءات بجامعة أم القرى.

عزو نشأة القراءات القرآنيةِ إلى اختلافِ مَرْسُومِ المصاحفِ العثمانيةِ

عرض ونقد

د. حبيب الله بن صالح بن حبيب الله السُّلمي

ملخص البحث:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه، وبعد:

فهذا بحث موسوم بـ (عزو نشأة القراءات القرآنيةِ إلى اختلافِ مَرْسُومِ المصاحفِ العثمانيةِ، عرض ونقد) ، ناقش فيه الباحث شبهة من أشهر شبهات المستشرقين حول القراءات، وأكثرها أثراً، وأعمقها بحثاً ودليلاً، وهي القول بأن القراءات نشأت وتكوَّنت نتيجة لتجرد المصاحف العثمانية من النقط والشكل واختلافها.

ولما تستحقه هذا المسألة من البحث والبيان ومزيد البسط والاستدلال رأيت أن أفردها بهذا البحث، والذي انتظمت خطته في مقدمة تضمنت أهمية الموضوع و أسباب اختياره إجمالاً وخطة البحث. وأتبعتها بأربعة مباحث: اشتملت على عرض الشبهة وتوثيقها وبيان أهدافها. وأسباب إثارة الشبهة. ثم الرد على الشبهة إجمالا وتفصيلاً، ثم أتبعته بأشهر المؤلفات في الدفاع عن القرآن. ثم ختمت البحث بأبرز النتائج والتوصيات. وكان من أهمها:

١- أن هذا القرآن كتاب محفوظ، لم يتغير ولم يتبدل على مر القرون، مصداقاً لقول الله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، وكل ما يثار حول ذلك فإنه من الهوى الذي لا دليل عليه.

٢- أن منشأ القراءات هو الرواية، وإنما كتبت المصاحف لأجل حفظ تلك الرواية.

٣- أن تعدد القراءات سابق للكتابة، وعليه فلا يمكن نسبة نشأتها إلى حال الكتابة. وغاية ما في الأمر أن خلو المصاحف من النقط والشكل سبب معين لاستيعاب القراءات.

٤- أن مجرد الاحتمالات العقلية لا ترقى لأن يستدل بها على الحقائق العلمية المسلمة.

٥- أن جميع الأدلة التي استدل بها المستشرقون على إثبات شبهاتهم أدلة باطلة لا يصلح الاحتجاج بها.

ثم ذيلت البحث بقائمة المصادر والمراجع.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

Abstract

Praise be to Allah alone, and peace and blessings be upon His creation of Muhammad and his companions, and after :

This search marked b (attribute the emergence of readings to differ decree Ottoman Korans, presentation and criticism) , the researcher discussed the suspicion of months suspicions orientalists about the readings, the most impact, and the deepest in search of the evidence, which is to say that the readings originated and was formed as a result of stripping the Ottoman Korans from blobs and shape and different. .

Because you deserve the matter of research and the statement further Basset inference Oferdha I saw that this research, which are arranged in the introduction to his plan included the importance of the subject and the reasons for his choice overall research plan. And then I followed by four sections: included a presentation of suspicion and documented and a statement of its objectives. The reasons for provoking suspicion. Then post compromised a whole and in detail, and then followed up the most famous compositions in the defense of the Koran. Then sealed the most prominent search results and recommendations. One of the most important :

1- This book Koran Mahfouz, has not changed not changed over the centuries, true to the words of God ،﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾: and all that excited about it, it is passion that does not guide it.

2- The origin of the readings is novel, but I wrote the Koran in order to save the novel .

3- that the multiplicity of earlier readings of the writing, and it can not be its inception in relation to the case of writing. The very thing that the absence of Korans blobs and shape to accommodate a particular reason readings .

4- That just does not live up rational possibilities as evidenced by the scientific facts Muslim .

5- that all the evidence that was understood by the Orientalists specious arguments to prove false evidence does not fit invoked .

Find and then appended a list of sources and references .

God bless our Prophet Muhammad and his family and him.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن أعظم نعم الله على هذه الأمة أن أنزل عليها كتابه المبين، وجعله هدى وموعظة للمتقين، وحفظه من تعريف الغالين وانتحال المبطلين، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر: ٩. واختار سبحانه من عباده علماء ربانيين يبينون هذا الكتاب أحسن بيان، ويقوم ون به خير قيام، ويدفعون عنه كل تحريف وتكذيب وأوهام منذ قديم الزمان وحتى عصرنا هذا، ومع ذلك فإنه لم يزل هناك من يثير حول هذا الكتاب العظيم الشكوك والشبهات؛ فلذلك وجب على هذه الأمة أن تنافحَ عن كتاب ربها وتفنِّدَ كل ما يثارُ حوله من المزاعم والشبهات وتُبيِّنَ الحقيقة وتجلِّيها وتعيد الحقَّ إلى محتِدِه ومأرزه.

ألا وإنَّ من أعظم تلك الشبهات التي أثارها المستشرقون حول القراءات القرآنية: قولهم إن القراءات القرآنية نشأت نتيجة لتجرد المصاحف العثمانية من النقط والشكل واختلافها. فهل قولهم هذا صحيح أم أنه مشتمل على مغالطات علمية وتاريخية؟ وما منشأ هذه الشبهة؟، ومن هو أبرز من قال بها؟ وما أدلة القائلين بها؟، وما الأثر الذي يترتب على القول بها؟، وكيف يجاب عن أدلتهم؟ تلك التساؤلات وغيرها أحاول أن أجيب عنها في ثنايا هذا البحث بإذن الله، والذي انتظم عنوانه في: (عزو نشأة القراءات القرآنيةِ إلى اختلافِ مَرْسُومِ المصاحفِ العثمانيةِ، عرض ونقد).

وقد تتبعت ما كتب حول هذا الموضوع فلم أجد –حسب اطلاعي– من أفرد هذه الشبه بالبحث على المنهج الذي سلكته هنا. وكانت الدراسات السابقة تدور حول ثلاثة أمور: الأول: ما أثاره أحد المستشرقين– كجولد تسيهر أو تيودور نولدكة أو غيرهما– من الشبهات حول القراءات مع الرد عليها، كما في كتاب (القراءات في

نظر المستشرقين لعبد الفتاح القاضي) رحمه الله، وغيره، وهو أفضل من ناقشها. الثاني: ما كان حول موضوع الدراسات القرآنية ورسم المصاحف في نظر المستشرقين عموماً ومناهجهم فيها، وهو أكثرها بحثاً. الثالث: ما خطَّه المحققون في مقدمات الكتب التي حققها المستشرقون ثم أعيد تحقيقها كما في فعل الدكتور محب الدين واعظ في مقدمة كتاب المصاحف لابن أبي داود.

ولا شك أن إفرادها بالبحث مع جمع شتات الموضوع، وتتبع من قال بها من المستشرقين ومن وافقهم، وذكر مؤلفاتهم، وأدلتهم على التفصيل الآتي، ثم الرد عليها بكلام المتقدمين، وذكر أبرز المصنفات التي عنيت بكتب المستشرقين؛ أنه يضيف قيمة لهذا البحث، فيما أحسب. والله المسئول أن يسدد ويبارك إنه سميع مجيب.

وقد جعلت هذا البحث: في مقدمة ـ وتمهيد ـ وخمسة مباحث ـ وخاتمة ـ وقائمة المصادر والمراجع.

- أما المقدمة فتحتوي على أهمية الموضوع و أسباب اختياره إجمالاً وخطة البحث.
- وأما التمهيد فيشتمل على نبذة عن نشأة القراءات وكتابة المصاحف.
- وأما المباحث الأربعة فيندرج تحتها:
- المبحث الأول: عرض الشبهة وتوثيقها وبيان أهدافها.
- المبحث الثاني: أسباب إثارة الشبهة.
- المبحث الثالث: الرد على الشبهة، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: الرد الإجمالي.
- المطلب الثاني: الرد التفصيلي.
- المبحث الرابع: أشهر المؤلفات في الدفاع عن القرآن.
- الخاتمة: وتشتمل على أبرز النتائج والتوصيات.
- ثم قائمة المصادر والمراجع.

تمهيد:

يعدُّ علم القراءات من العلوم الأصيلة، والتي ترجع نشأتها إلى عهد النبوة، وذلك أن أول ما تعلمه الصحابة من علوم الدين كان حفظ القرآن بأوجهه وقراءته، وكان الصحابة يقرؤون على حروف كثيرة كل بما تعلم من فيِّ رسول الله ﷺ، ووقعت بينهم حوادث تدل على اختلاف تلقيهم من رسول الله ﷺ، من ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب أنه قال: (سمعت هشام بن حكيم بن حزامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَأَنِيهَا، فَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ»، فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَكَذَا أُنْزِلَتْ»، ثُمَّ قَالَ لِي: «اقْرَأْ»، فَقَرَأْتُ، فَقَالَ: «هَكَذَا أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ)[1] فكانوا يقرؤون بما تعلموا، ولا ينكر أحد على أحد قراءته، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوجِّه بعضهم إلى البلدان ليعلموا الناس القرآن والدين.

ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم، خرج جماعة من الصحابة في أيام أبي بكر وعمر إلى ما افتتح من الأمصار، ليعلموا الناس القرآن والدين فعلم كل واحد منهم أهل مصره، على ما كان يقرأ على عهد النبي "صلى الله عليه وسلم"، فاختلفت قراءة أهل الأمصار على نحو ما اختلفت قراءة الصحابة الذين علموهم.

وفي خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه كان الجمع الأول للقرآن، فتتبعوا ما كتب بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في اللخاف والأكتاف والعسب ونحو ذلك، حتى جمعوه في الصحف.

وبقيت تلك الصحف حتى خلافة عثمان رضي الله عنه، فبينما كانت فتوحات أذربيجان وأرمينية، إذ رأى حذيفة بن اليمان الناس يختلفون في ألفاظ القرآن اختلافا شديدا، حتى كاد أن يكفر بعضها بعضًا. وكان سبب ذلك أن أهل كل مصر قرءوا على ما أقرأهم الصحابي، الذي وصل إليهم ليعلمهم القرآن والدين في زمان أبي بكر وعمر، فاختلفوا في قراءاتهم بألفاظ مختلفة، وكان ذلك قد تعارف بين الصحابة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يكن ينكر أحد ذلك على أحد لمشاهدتهم من أباح لهم ذلك، وهو النبي صلى الله عليه وسلم.

فلما انتهى ذلك الاختلاف إلى من لم يعاين صاحب الشرع، ولا علم بما أباح من ذلك، أنكر كل قوم على آخرين قراءتهم، واشتد الخصام بينهم. وقال كل فريق: قراءتنا أولى من قراءتكم، وبلغ ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ فما كان منه إلا أن جمع القرآن في المصاحف مرتب الآيات والسور، فأثبت رسم القرآن في جميع المصاحف مجرداً من النقط والحركات حاوياً ما يحتمله مما ثبت من القراءات، وفرَّق فيها ما لا يحتمله رسم المصحف الواحد كالزيادة في نحو: (إن الله هو) بزيادة (هو) ونقصانها ونحوها، مما علم أن جمعه في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن، إلا بإعادة الكلمة مرتين، وفي رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لا خفاء به، ففَرَّقها في المصاحف لذلك[٢].

وأما ما اختلفت فيه القراءة من الإدغام، والإظهار، والمد، والقصر، والتشديد، والتخفيف، وشبه ذلك فذاك مما تجوِّزه العربية، واعتمد فيه على التلقي والأخذ من الشيوخ الأئمة الثقات، وكله موافق للخط كذلك.

فلما كتب عثمان المصاحف، وجهها إلى الأمصار، وحملهم على ما فيها وأمرهم بترك ما خالفها؛ فقرأ أهل كل مصر مصحفهم الذي وجه إليهم على ما كانوا يقرءون قبل وصول المصحف إليهم، مما يوافق خط المصحف، وتركوا من قراءتهم التي كانوا

عليها ما يخالف خط المصحف؛ فاختلفت قراءة أهل الأمصار لذلك بما لا يخالف الخط، وسقط من قراءتهم كلهم ما يخالف الخط.

ونقل ذلك الآخر عن الأول في كل مصر، فاختلف النقل لذلك، حتى وصل النقل إلى هؤلاء الأئمة القراء المشهورين على ذلك، فاختلفوا فيما نقلوا على حسب اختلاف في تلقيهم عن أهل الأمصار، لم يخرج واحد منهم عن خط المصحف فيما نقل، كما لم يخرج واحد من أهل الأمصار عن خط المصحف، الذي وجه إليهم.

فلهذه العلة اختلفت رواية القراء فيما نقلوا، واختلفت أيضا قراءة من نقلوا عنه لذلك، وربما قرأ القارئ على شيوخ كثر، وأخذ عن كل واحدٍ منهم حرفا غير الذي عند الآخر، فاحتاج كل واحد من هؤلاء القراء، أن يأخذ مما قرأ ويترك، فاختار مما قرأ حروفاً نسبت فيما بعد إليه نسبة اختيار وانتقاء لا اختراع وابتكار[٣].

المبحث الأول: عرض الشبهة وتوثيقها وبيان أهدافها.

يقول مدعو هذه الشبهة: إن جلّ القراءات القرآنية إنما نشأت نتيجة لتجرد رسم المصحف العثماني من النقط والشكل، والرسم العربي إذا تجرد من النقط والشكل احتمل أشكالا مختلفة بسب ما يمليه عليه اجتهاده.

وتهدف هذه الشبهة إلى القول بأن القراءات ليس لها مصدر توقيفي وإنما مبناها على الاجتهاد والنظر كل بحسب ما تملي عليه لغته من الأوجه التي تحتمل الآية، ولا شك أن هدم هذا الأصل هو هدم لجُلَّ ما يتلى اليوم من القرآن والقراءات وذلك أنه لا يمكن أن يقرأ أحد في مصر من الأمصار إلا برواية معينة من الروايات وإذا كانت هذه الرواية لا أصل لها من التشريع فإنه يبطل القول بقرآنيتها وبأنها من عند الله وبإعجازها وبالاستدلال بها في الأحكام وهلم جرا، وهنا يكمن أثر هذه الشبهة.

وقد ينسحب ذلك على اعتقاد أن القرآن كالكتب السماوية الأخرى دخلته آراء الناس وتحريفاتهم – عياذاً بالله – وبهذا فإنه يسهل لأعداء هذا الدين الطعنُ في القرآن، وقلبُ الحقائق المترسخة عند المسلمين، ولذلك رأينا من تأثر بكلامهم من أهل هذا العصر سواء من المستشرقين أو من المتأثرين بآراء الغرب وثقافاتهم من المسلمين، نسأل الله العصمة والثبات.

والذي يظهر لي أن أشهرَ من عُرف قولُه في ذلك من المستشرقين هو "جولد تسيهر" (ت١٩٢١م)[٤]، فقد قال في أول كتابه المسمَّى بالمذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: (والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهوره إلى خاصية الخط العربي، فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة، قد يقرأ بأشكال مختلفة؛ تبعا للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية وفقدان الشكل في الخط العربي يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من

الإعـراب، فهـذه التكمـيلات للرسـم الكتـابي، ثـم هـذه الاختلافـات في الحركـات والشكل، كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القـراءات فيمـا أهمـل نقطـه أو شكله من القرآن، ولبيان هاتين الحقيقتين نذكر هنا بعض الـمُثُل:

١. فمن أمثلة القراءات التي كان سببها عدم النقط ما جاء في سورة الأعراف آية ٤٨: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ بالباء الموحدة، وفي قراءة (تستكثرون) بالثاء المثلثة.

٢. وفي آية ٥٧ من هذه السورة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ ﴾ الأعراف: ٥٧ بالباء، وفي قراءة: (نشـرا) بالنون.

٣. وفي آية ١١٤ من سورة التوبة: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ التوبة: ١١٤بالياء المثناة التحتية، وفي قراءة غريبة لحماد الراوية: (أباه) بالباء الموحدة.

٤. وفي آية ٩٤ من سورة النساء تظهر –على الأخص– هذه الظاهرة في كل الحروف تقريبا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا ﴾ النساء: ٩٤، وفي قراءة: (فتثبتوا)، ورسم هذه الكلمة: (فتثبتوا) [يعني بدون نقط] محتمل للقراءتين.

ولا يوجد في هذه القراءات من ناحية المعنى العـام أو الاسـتعمال الفقهـي –على الحقيقة– فرق يذكر. وقد يوجد شيء من هذا في المواضع الآتية:

٥. فمثلاً آية (٥٤) من سورة البقرة –حيث يدور الحديث حول غضب موسى عند ما علم باتخاذ بني إسرائيل لعجل من ذهب–: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم

بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة: ٥٤ فقوله تعالى : ﴿ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ معناه: اقتلوا بعضكم بعضا، أو كما يعطيه ظاهر اللفظ: فاقتلوا أنفسكم بأنفسكم، وهو متفق مع ما وقع فعلا، كما في المصادر اليهودية، وقد رأى بعض شيوخ المفسرين (قتادة البصري المتوفى سنة١١٧هـ) أن الأمر بقتل النفس أو قتل العُصاة من القسوة والشدة بحيث لا يتناسب مع الفعل، فقرأ: (فأقيلوا أنفسكم)، أي حققوا الرجوع والتوبة من الفعل بالندم على ما فعلتم.

وفي هذا المثال نرى وجهة نظر موضوعية كانت سببا أدى إلى القراءة المخالفة، وذلك على الضد من القراءات السابقة التي كانت فيها القراءات لا تعدو أن يكون فيها أمراً شكليا.

٦. وتتجلى هذه الظاهرة –أيضا في الآيتين (٨، ٩) من سورة الفتح، حيث يخاطب الله النبي قائلا: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ الفتح: ٨ – ٩ فقرأ بعضهم بدلا من: (وتعزروه) بالراء: (وتعززوه) بالزاي من العزة والتشريف، وإني أرى في الانتقال من تلك القراءة إلى هذه القراءة – وإن كنت لا أجزم بذلك- أن شيئا من التفكر في تصور أن الله قد ينتظر مساعدة من الإنسان قد دعا إلى ذلك، حقا إنه قد جاءت في القرآن آيات بهذا المعنى: (سورة الحج: ٤٠، ومحمد: ٧، والحشر: ٨، وغيرها) ، بيد أن اللفظ المستعمل في هذه الآيات وهو (نصر) يقوم على أساس أخلاقي تهذيبي، وليس كالتعبير بلفظ (عزز) وهي الكلمة المتفقة مع اللفظ العبري (عزاز) والتعبير بعزز تعبير حاد، يقوم على أساس من المساعدة المادية.

وقد جاء الكثير من القراءات فيما يتصل بهذا الرسم من حيث نقطه، فيكون تاء أو ياء، وإن كان ذلك لا يؤدي إلى تغيير ذي أهمية في المعنى.

وهنا نتناول دائرة الاختلاف في الحركات في المقطع الواحد، مما نشأت عنه قراءات تتصل بالناحية الإعرابية وحدها:

٧. فقي سورة الحجر آية (٨): ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ الحجر: ٨ فاختلفت القراءات في (ننزل)، وتبع ذلك الاختلاف في كيفية نزول الملائكة، فبعض يقرؤها: (نَنَزِّل الملائكة)، وبعض يقرؤها: (نُنزِلُ الملائكة)، وآخر يقرؤها: (تُـنْزَل الملائكة)؛ وذلك على معنى أننا ننزلها، أو أنها هي التي تنزل، وهذه كلها قراءات ترجع إلى أقاليم مختلفة.

٨. وقد تجيء- أحيانا- مع هذه الاختلافات في الحركات تغييرات في المعاني ذات صفة قاطعة، مثل آية ٤٣ من سورة الرعد: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الرعد: ٤٣ وفي قراءة أخرى: (ومِن عنده عِلْمُ الكتاب) ، وهناك قراءة ثالثة: (ومِن عنده عُلِمَ الكتاب) ، والمعنى مختلف اختلافا ظاهرا.

٩. وتظهر –أحيانا- اختلافات فقهية من اختلاف الحركات الذي يرتبط ببناء الجملة في الآية القرآنية، والمثال المعروف لذلك آية ٦ من سورة المائدة: ﴿ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ المائدة: ٦ فالشيعة تُجَوزُ مسحَ الرجلين بدلا من غسلهما بناء على تعلق (وأرجلكم) بقوله تعالى: (وامسحوا)، أي: امسحوا بأرجلكم، على حين غيرهم يجعله متعلقا على طريق المفعولية تعلقا مباشراً بقوله تعالى): فاغسلوا، أي: (اغسلوا أرجلكم).[٥] انتهى كلامه.

- **المتأثرون بكلام جولد تسيهر:**

وممن تأثر بكلام جولد تسيهر المتقدم وأخذ يردده:

١. بيرجشتراسر (١٩٣٣م)[٦] : حيث يقول ضمن حديثه عن اضطراب النص القرآني-كما يقول-: (الأمر لا يتعلق باختلافات قديمة عن مخطوطات القرآن العثمانية إنما بدخول قراءات غير عثمانية في الغالب إلى النص المكتوب)[٧].

٢. كارل بروكلمان (١٩٥٦م)[٨]: حيث يقول في كتابه تاريخ الأدب العربي: (حقا فتحت الكتابة التي لم تكن قد وصلت بعد إلى درجة الكمال مجالا لبعض الاختلاف في القراءة، ولاسيما إذ كانت غير كاملة النقط ولا مشتملة على رسوم الحركات..)[٩] انتهى.

٣. أرثر جفري (١٩٥٩م)[١٠]: حيث ذكر في مقدمة تحقيقه على كتاب المصاحف لابن أبي داوود ما نصه: (خلو مصحف عثمان من النقط والشكل:

١) وجد القرّاء في المصاحف الّتي بعثها عثمان للأمصار اختلافا في بعض الحروف، فكان في مصحف الكوفة (عملت) وفي غيره (عملته) وكذلك في مصحف الشام (وبالزبر) وفي غيره (والزبر)، وفي مصحف المدينة ومصحف الشام (فلا) وفي غيرها (ولا) ومثل ذلك.

٢) وكانت هذه المصاحف كلها خالية من النقط والشكل، فكان على القارئ نفسه أن ينقط ويشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات، ومثال ذلك (يعلمه) كان يقرأها الواحد (يُعَلِّمُهُ) والاخر (نُعَلِّمُهُ) أو (تُعْلِمُهُ) أو (بِعِلْمِهِ) الخ على حسب تأويله للآية، فكان حينئذ لكل قارئ اختيار في الحروف وكذلك اختيار في الشكل أيضا.

٣) وفضلا عن ذلك فقد وقع اختيار بعض القرّاء، كما يتبين ذلك من كتب القراءات، على كثير ممّا كان في المصاحف الّتي منع عثمان استعمالها. ثـمّ بعـد ذلـك ظهـرت بالتدريج في كل مصر من الامصار قراءة كانـت مشـهورة معهـودة في ذلـك البلـد وتبعها الناس دون غيرها. فظهرت قراءة أهل الكوفة وقراءة أهل البصـرة وقـراءة أهل الشام وقراءة أهل حمص وقراءة أهل مكة وقراءة أهل المدينـة، وهـي اختيـار القرّاء المشهورين من هذه الامصار.) انتهى[١١].

لتيودور نولدكه (١٩٣١م)[١٢]: وهو شـيخ المستشـرقين الألمـان، وألّـف كتابـه الكبير (تاريخ القرآن)، ضمنه الكثير من الشبهات حول القرآن، وزعـم أن القـراءات نشأة بعد عهد الصحابة، حيث يقول: (تؤكد حقائق كثيرة التحول من النقل الشـفوي للقرآن الذي ساد في فجر الإسلام إلى دراسة النص القرآنـي المكتـوب، فالنسـخ الـتي أرسلها عثمان إلى بعض المدن تأثرت بطريقة النطق في هذه المدن، ودخلت فيها بعض أخطاء النسخ كما في قراءة الحسن البصري. الأهم من ذلك أنه برزت في تلك الفـترة قراءات كثيرة تَفهم معالم الرسم نفسها على أوجه مختلفة. من الممكن بالطبع أن تنشـأ في المأثور الشفوي إشكال مزدوجة للنص لا تظهر اختلافاتهـا بوضـوح في الكلمـات غير المشكلة، فيقرأ أحدهم مثلا: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ هود: ٤٦. على أنها: (إنه عَمِلَ غيرَ صالح) أو العكس. وتوجد احتمالات لا حصر لها لقراءة الكلمات غير المشَـكَّلة نفسها.. أو نشوء ازدواجات في الاختلافات الشفوية تظهر في الكتابة كما هـي الحـال في تبديل المترادفات..)[١٣].

هؤلاء هم أبرز من تطرق لهذه الشبهة، ولاشك أنه قد تأثر بتلك الشـبهة قـوم آخرون، سواء من المستشرقين أو من المستغربين[١٤] المتأثرين بدراسات الغرب[١٥].

وقد أرجع الدكتور عبد العال سالم أساس هذا الزعم إلى الـزمخشري، وقال: إن مصدر الوحي لهذا المستشـرق - جولد تسيهر- إنما هو الـزمخشري الذي قال بخطأ ابن عامر في قراءته للآية القرآنية.

فقد زعم الزمخـشري-رحمه الله- أن الذي حمل ابن عامر على قراءته، أنـه رأى في بعض المصاحف (شركائهم)، مكتوبا بالياء؛ فالسبب هو الرسم حيث يقـول: وأمـا قراءة ابن عامر: {قتلُ أولادَهم شركائِهم} برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشـركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف، فشيء لو كـان في مكـان الضرورات وهو الشعر، لكان سمجاً مـردوداً، كمـا سمـج ورُدَّ: (زج القلـوص أبـي مزادة)، فكيف به في الكلام المنثور، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالتـه. والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف {شركائهم} مكتوباً بالياء، ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء -لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم- لوجـد في ذلـك مندوحـة عن هذا الارتكاب)[١٦] انتهى كلامه.

ونحن إذ نضع في الاحتمال أن يكون للـزمخشري أثرٌ في قـول تسـيهر، إلا أننـا نجزم أن مراد كل منهم يختلف عن الآخر؛ إذ يهدف تسيهر للوصول إلى قيـاس تعـدد القراءات، على تعدد الأناجيل، وهذه خطيئة لا يمكن أن الزمخشري يقع في مثلها)[١٧]. إضافة إلى أن الزمخشـري كـان الضـابط عنـده هـو قيـاس العربيـة، وهـذا فـرقٌ آخـر جلي.[١٨]

وقد رُدَّ قولُ الزمخشري هذا وبُيِّن فسادُه.[١٩]

المبحث الثاني: أسبابُ إثارة الشبهة.

يلحظ الباحث في أسباب إثارة الشبهات عموماً أن المستشرقين قد عُنوا عناية كبيرة بدراسة القرآن الكريم، ولا غَرْوَ في ذلك؛ فإن المستشرقين يدركون خطورةَ هذا الكتاب العظيم ومكانته الكبيرة بين المسلمين؛ فلذلك صرفوا قدراً كبيراً من اهتماماتهم نحوه، وحاولوا بث ما يستطيعونه من شبهاتٍ حوله، وهم في ذلك على فريقين:

فريق دافعه علمي بحثي: وهؤلاء غالبا ما يصلون إلى حقائق صحيحة عن هذا الدين ربما تهديهم إلى الإسلام.

وفريق آخر إنما يدفعه مجرد إثارة الشبهات وزعزعة مكانة هذا الكتاب عند المسلمين، ولعلَّ من أبرز أسباب إثارة الشبهات عند هذا الفريق ما يلي:

أولا: الحقد والحسد ومحاولة الحدّ من قناعة المسلمين بكتاب ربهم: وقد بين الله ذلك في كتابه فقال: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ البقرة: ١٠٩.

ثانيا: الجهل بتاريخ المسلمين وبالآثار والنصوص الكثيرة- والتي تدل على أن القراءات رويت قبل أن ترسم- وهذا يتجلى في هذه الشبهة؛ فإنهم لو علموا ذلك لما استطاعوا أن يبثوا مثل هذا الكلام، وسيأتي ذكرُ طرفاً من هذه النصوص في مَعرِض الردود على هذه الشبهة إن شاء الله.

ثالثا: أنهم أجروا القرآن مجرى ما وقع فيه التصحيف من كلام العرب شعرا أو نثرا، فقد صحف الفيض ابن حميد في حلقة يونس، إذ أنشد بيت ذي الإصبع:

عـــذير الحَـــيِّ مِـــن عُـــدْوَا نَ كـــــانوا حَيَّـــــةَ الأرضِ

فقال الفيض: كانوا جنة الأرض بالجيم والنون. انتهى.

ولذلك أمثلة أخرى يطول ذكرها[٢٠].

المبحث الثالث: الرد على الشبهة.

بعد العرض السابق لهذه الشبهة وبيان أسبابها وآثارها يأتي المقصود من هذا البحث، وهو الرد على هذه الشبهة، وبيان ما اشتملت عليه من أخطاء ومغالطات دينية وتاريخية ومنهجية وقد جعلت ذلك في مطلبين:

المطلب الأول: الرد الإجمالي على هذه الشبهة:

يمكن إجمال الردود العامة على هذه الشبهة -خصوصا- وكثير من شبهات المستشرقين المماثلة لها-عموما- في عدة نقاط أبرزها:

أولاً: أنه من الأمور التي قررها القرآن وأصبحت معلومة من الدين بالضرورة أن هذا القرآن كتاب تأذن الله بحفظه ولم يَكِل حفظَه إلى الناس كما حصل في الكتب السماوية الأخرى فنالها النسيان والتحريف والتبديل، وسوف أورد لذلك أدلة من القرآن والسُّنة ومن كلام العلماء المتقدمين.

فمن أدلة ذلك من القرآن الكريم:

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت: ٤١ – ٤٢.

ومن السنة النبوية: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن ربي قال لي قم في قريش فأنذرهم، فقلت له: أي رب إذن يَثْلَغُوا رَأْسي حتى يدعوه خُبْزَةً فقال: إني مبتليك ومبتل بك، ومنزل عليك كتاباً لا يَغْسِلُهُ الماء، تَقْرَؤُهُ نَائِماً وَيْقَظانَ، فابعث جنداً أبعث مثلهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأنفق ينفق عليك)[٢١].

قال ابن الجزري: (فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرأ في كل حال كما جاء في صفة أمته: 'أناجيلهم في صدورهم'. وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب، ولا يقرؤونه كله إلا نظراً، لا عن ظهر قلب)[٢٢].

ومن مقتضى هذا الحفظ أن يبقى لفظ القرآن غضا طريا يُتلى كما أنزل، ولا يجتمع أ ن نقول أن القرآن محفوظ ثم يدعي مدع أن القرآن الموجود اليوم قد دخله التحريف، وإلا لما كان للحفظ فائدة.

ثانياً: أن نقلة القرآن كانوا ممن أجمعت الأمة على تصديرهم وقبولهم والشهود لهم بالحفظ والإتقان واتباع النقل مع ما اتصفوا به من الأمانة والدقة والتقوى ونقل عن عدد منهم التصريح بالتثبت في النقل، كقول حمزة رحمه الله: (ما قرأت حرفا إلا بأثر).[٢٣]

وفي سنن سعيد بن منصور عن زيد بن ثابت: (القراءة سنة)[٢٤].

قال البيهقي: (أراد أن اتباع من قبلنا في الحروف سنة متبعة لا يجوز مخالفة المصحف الذي هو إمام، ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة، وإن كان غير ذلك سائغا في اللغة أو أظهر منها)[٢٥].

وقال الداني: (وأئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل وإذا ثبتت

الرواية لم يردها قياسُ عربية ولا فشوُ لغة لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها)[٢٦]

وقال ابن الجزري: (إذ من المحال أن يصح في القراءة ما لا يسوغ في العربية؛ بل قد يسوغ في العربية مالا يصح في القراءة لأن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول[٢٧].

ثالثاً: أن الله جلَّ وعلا قد أخبر في كتابه أن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يستطيع أن يبدل في القرآن كلمة بكلمة أو حرفاً بآخر، وأشار إلى أن هذا التبديل معصية يترتب عليها العقاب الشديد، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ يونس: ١٥، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ الحاقة: ٤٤ – ٤٧.

فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يُبَدِّل في القرآن الكريم شيئا فهل يملك غيُره، صحابياً أم تابعياً أم غيرهما أن يضع كلمةً مكان كلمةٍ أو حرفاً في موضع حرف[٢٨].

رابعاً: أنه ثبت بالأدلة الصحيحة أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، وهذا مع ما فيه من التوسعة على الأمة فإنه يدل – بلا شك– على تنوع القراءات وعلى تعدد أوجه القراءة في العديد من الكلمات منذ زمن المصطفى عليه الصلاة والسلام:

ومن ذلك ما روي عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أنه قال: (سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَقْرَأَنِيهَا فَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَكَذَا أُنْزِلَتْ ثُمَّ قَالَ لِي اقْرَأْ فَقَرَأْتُ فَقَالَ هَكَذَا أُنْزِلَتْ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ) (٢٩).

وعن ابْنَ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ) (٣٠).

و عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: (كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَا فَحَسَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنَهُمَا فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَدْ غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا فَقَالَ لِي يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّم) (٣١).

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارٍ قَالَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ فَقَالَ أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا)[٣٢].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة مشهورة. وهي تدلنا على أنَّ منشأ اللبس عند أصحاب هذه الشبه من عدم معرفة أصل هذا الاختلاف بين القراءات وقد مرَّ تقريره. ولو لم يكن في الردود غير ما مضى لكفى في دحض هذه الشبهة وبيان بطلانها.

المطلب الثاني: الرد التفصيلي.

وسيكون الكلام في هذا المطلب مشتمل على الرد على أصل الشبهة عنده، ثم الرد على الأمثلة التي استشهد بها:

الأمر الأول: الرد على أصل الشبهة.

حيث يقول جولد تسيهر: (والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهوره إلى خاصية الخط العربي، فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة، قد يقرأ بأشكال مختلفة؛ تبعا للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية وفقدان الشكل في الخط العربي يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب، فهذه التكميلات للرسم الكتابي، ثم

هذه الاختلافات في الحركات والشكل، كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات فيما أهمل نقطه أو شكله من القرآن..)

ووافقه بيرجشتراسر وكارل بروكلمان على مضمون هذه الشبهة وكذا أرثر جفري في النقطة الثانية عنده.

فأقول- مستعينا بالله-:

أولاً: إن ما ذكره أولئك من وصف لحالة الخط الذي رسم به المصحف العثماني لا علاقة له بسبب نشأة القراءات، وذلك أن الخط تابع للرواية لا العكس، والحروف رويت كذلك قبل أن ترسم، والقراءات نشأت قبل جمع المصاحف كما بينا في المطلب السابق، والرواية هي الأصل، وإنما كتب المصحف لحفظ الرواية ولذلك فإن أهل كل مصر من الأمصار قد التزموا بما يُقرؤهم القارئ الذي بعثه عثمان مع المصحف دون الزيادة عليه، ولم يجتهدوا في القراءة حسب ما يسمح به رسم المصحف دون رواية القارئ به وهذا أمر معلوم لا خلاف فيه[٣٣].

وقد نص على هذا كثير من العلماء، فمن ذلك قول أبي شامة: (والقراءة نقل، فما وافق منها ظاهر الخط كان أقوى، وليس اتباع الخط بمجرده واجبا ما لم يعضده نقل فإن وافق فبها ونعمت، ذلك نور على نور)[٣٤].

وقال الزرقاني: (ثم إن الصحابة، رضوان الله عليهم، قد اختلف أخذهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد، ومنهم من أخذه عنه بحرفين، ومنهم من زاد، ثم تفرقوا في البلاد، وهم على هذه الحال، فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم، وأخذ تابعي التابعين وهلم جرا، حتى وصل الأمر، على هذا النحو، إلى الأئمة القراء المشهورين، الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها ويعنون بها وينشرونها)[٣٥].

وقصة استتابة ابن مقسم من أعظم الأدلة على ذلك فإنه لما كان يقول: (إن كل قراءة وافقت المصحف، ووجهها في العربية فالقراءة بها جائزة وإن لم يكن لها سند) أنكر عليه القراء والفقهاء في زمانه واستدعاه السلطان واستتابه فأذعن بالتوبة وكتب محضر توبته؛ لأن ابن مقسم جعل القراءة تابعة للرسم، وأخلاها من السند فردت قراءته[٣٦].

وقال ابن الجزري: (ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة ففي الحديث الصحيح الذى رواه مسلم[٣٧] أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: 'إن ربي قال لي قم في قريش فأنذرهم، فقلت له: أي رب إذن يَثْلَغُوا رَأْسي حتى يدعوه خُبْزَةً فقال: إنى مبتليك ومبتل بك، ومنزل عليك كتاباً لا يَغْسِلُهُ الماء، تَقْرَؤُهُ نَائِماً وَيْقَظانَ، فابعث جنداً أبعث مثلهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأنفق ينفق عليك'.

فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرأ في كل حال كما جاء في صفة أمته: 'أنا جيلهم صدورهم'. وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب، ولا يقرءونه كله إلا نظراً، لا عن ظهر قلب'[٣٨].

ثانياً: أنه جعل مجرد الاحتمالات العقلية دليلا يستدل به على الحقائق العلمية المسلمة وهذا دأب أكثر المستشرقين، ويقيسون الماضي الذي لم يكن يوما جزءا من تاريخهم، وبالتالي لم يكن من مكونات ضمائرهم بمقياس حاضرهم، مع تباين المكان والزمان والعقلية والروح، وآية ذلك أنهم يغضون أبصارهم عن الطابع الرباني الذي نشأت في ظله أحداث التاريخ القرآني على عهد النبوة، وهم يرفضون مناهج المسلمين في نقد الأخبار ورواتها. فالمبدأ عند علمائنا في جميع منابع الثقافة الإسلامية

هو إثباتها أولا من طريق الرواية والبحث فيها إسناداً ومتنا، ووضعوا لذلك مقاييس ليس بعدها دقة، أما المستشرقون فلا يعترفون بغير المتن- حتى وإن كان مكذوبا- ولا يقرون إثبات شيء من طريق الرواية، وإنما كل همهم امتحان النص امتحانا لا يقوم على أصول ثقافية ولا قواعد منهجية[٣٩].

ثالثاً: أن هناك قراءات يحتملها الرسم وهي صحيحة في اللغة ونطق بها العرب وجرت على ألسنتهم في نثرهم، ولكن لم يقرأ بها، والسبب في ذلك أنها لم ترد، ولم يكن لها سند صحيح يعتدُّ به من نقل أو رواية، وسأسوق لذلك عدة براهين:

١. أننا نجد حرفا يتكرر في القرآن الكريم برسم واحد لا يختلف في السور التي ورد فيها، ومع ذلك نجد القراء يختلفون في قراءته في بعض المواضع ويتفقون فيها على البعض الآخر، فلو كان رسم المصحف سببا من أسباب الاختلاف ما كان الخلاف ليقع بين الكلمات ولذلك عدة أمثلة أكتفي بذكر الكلمات دون الإشارة إلى تفصيل ذلك: كمثل لفظ: (مالك)، و (تبشرون)، و (السوء) فقد وقع الخلاف في مواضع معينة ووقع الاتفاق على مواضع أخرى.[٤٠]

٢. أن هناك ألفاظا تُجَوِّز اللغة والصناعة النحوية نطقه بأوجه مختلفة، ومع هذا لم يقرأ القراءُ إلا بوجه واحد من هذه الوجوه، وإليك أمثلة:

جاء في البحر المحيط عند قوله تعَالَىٰ: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ الإسراء: ١٠٦: (وَيُقَالُ مُكْثٌ بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا وَكَسْرِهَا. وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَأَجْمَعَ الْقُرَّاءُ عَلَى ضَمِّ الْمِيمِ مِنْ مُكْثٍ)[٤١]، ولم يقرأ واحد من القراء الأربعة عشر إلا (مُكث) بضم الميم.

ويجوز في (الرضاعة) فتح الراء وكسرها ولم يقرأ إلا بالفتح، فلو كان الأمر كما يقول جولد تسيهر ومن وافقه من أن إغفال الحركات في الخط العربي كان سببا في الأوجه المختلفة للقراءات لرأينا القراء يقرءون أمثال هذه الكلمات بما تُجَوَّز فيها من مختلف الحركات، بل إن الكسائي نفسه هو الذي روى الكسر في (الرضاعة) لغةً ولكنها لم ترد عنه قراءة.

٣. لو كان الأمر راجعا إلى الرسم لصحت كل قراءة يحتملها الرسم مادامت موافقة لوجه من وجوه العربية ولكن الأمر على غير ذلك.

٤. أننا نجد إماماً من الأئمة اشتغل بالنحو حتى صار فيه مقدماً، واشتغل بالقراءات حتى عُدَّ من القراء السبعة، ومع ذلك تجده يخالف في قراءته مذهبه النحوي، كأبي عمرو وهو من المدرسة البصرية، والكسائي وهو من المدرسة الكوفية، ومع ذلك يأتي أبو عمرو بما يخالف مذهبه في إدغام الراء في اللام وهو ضعيف عند البصريين، ويميل الكسائي لفظ (كلتا) فيخالف الكوفيين الذين يقولون إن ألفها ألف تأنيث لا تثنية[٤٢].

٥. مما ينفي أن الرسم وخاصية الخط العربي سبب اختلاف القراء ما نجده من اختلاف القراء في الحرف الواحد ذي الرسم المتَّحِد مع اختلاف المواضع كقراءة أبي جعفر: في (يحزن) بضم الزاي في الأنبياء فقط، وفتح الياء وضم الزاي في باقي القرآن، وعكسه نافع[٤٣].

٦. أنه ربما رجح إمام من الأئمة السبعة جانب الرواية على مرسوم المصحف، فيأخذ بالأُولى؛ لأنها ثابتة عنده بالنقل والأخذ عن شيوخه الذين اتصل سندهم بقراءة الرسول صلى الله عليه وسلم، من ذلك ما روى ورش عن نافع في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ ﴾ مريم: ١٩، بالياء هكذا: (ليهب لك)، وقد

رسمت في جميع المصاحف بالألف بعد اللام كما ذكر أبو عمرو الداني[٤٤]، ولكن ورشا رجح جانب الرواية عن شيخه نافع[٤٥].

رابعاً: أن مما دأب عليه القراء قديما وحديثا: أنهم يجيزون تلاميذهم بالإسناد المتصل عن شيوخهم إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وذلك عَقِب ختمِهم عليهم القرآن. وهذا أمر واضح الدلالة على أن جميع تلك الوجوه مروية بالإسناد عن الصحابة عن المصطفى عليه الصلاة والسلام[٤٦].

الأمر الثاني: مناقشة الأدلة التي استدلوا بها.

يُلحظ على هؤلاء المستشرقين عند ذكرهم للأدلة التفصيلية التي استدلوا بها عدة أخطاء علمية ومنهجية، متمثلة في النقاط التالية:

١. الخلط بين القراءات الصحيحة والشاذة مما يدل على الجهل في التفريق بينهما أو أنه محاولة منهم للتلبيس على الباحثين، وهذا أعظم، ويظهر ذلك في الدليل المذكور في رقم: [١]، [٣]، [٦]، [٧][,] ٨]، فذكر في المثال الأول قراءة: (تستكثرون) في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾، وهذه قراءة شاذة ليس لها سند و لم تذكر إلا في كتب بعض المفسرين، فليست من العشر ولا حتى من الأربع الشواذ التي وراءها[٤٧].

وذكر في المثال الثالث أنه قرئ في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ بلفظ: (أباه)، وهي قراءة شاذة كذلك[٤٨].

وفي المثال السادس: ذكر أنه قرئ في قوله تعالى: ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ بلفظ: (وتعززوه) وهي قراءة شاذة منكرة مخالفة للنقل الصحيح عن قتادة[٤٩].

وفي المثال السابع ذكر عدة قراءات في قوله تعالى: ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ بعدة ألفاظ، بعضها ورد في قراءة صحيحة، وبعضها لم يرد، ولأن الأمر متعلق بضبط الحركات فقد يكون من أخطاء المترجمين للنص، وإلا فإنه أتى بغرائب لم يُسبق إليها، ولا يصح في الآية إلا أربع قراءات: (نُنَزِّلُ)، و(تُنَزَّلُ)، و(تَنَزَّلُ)، وزاد البزي تشديد الزاي في وجه. ولا يصح فيها غيرُ ما ذكرت[٥٠].

وفي المثال الثامن ذكر في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ قراءتين أخريين، الأولى: (ومِن عندِهِ علم) وهي قراءة شاذة من الأربع الشواذ التي فوق العشرة[٥١]، والشاذ لا يثبت به قرآن.

والثانية: (ومن عنده عُلِمَ)، وهي قراءة أشد شذوذاً من التي قبلها، وليس لها سند يعرف[٥٢].

وأما الأمثلة: [٢]، و [٤]، و [٩] من أدلة جولد، و المثال [٢] من أدلة آرثر جفري، فإن ما أورداه فيها هو من قبيل القراءات الصحيحة المقبولة، ويصح الاستدلال بها لورود السند المتصل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقراءة بها، فالسبب في اختلافها عائد إلى صحة نقلها لا على شكلها في الرسم وقد تقدم تقرير ذلك المعنى.

وأما قوله جولد بعدم وجود فرق بين القراءتين في المثالين: [٢]، و [٤] فلا علاقة له بقبول القراءة من عدمه؛ إذ ليس شرطا في قبول القراءة الأخرى أن تأتي بمعنى جديد مغاير لمعنى الأولى.

والقاعدة عند أهل العلم أن اختلاف القراءات كله اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، ولذلك يعملون القراءتين معا كما في المثال: [٩] عند قوله تعالى:

﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ فقد ذهب ابن جرير الطبري إلى أن فرضهما أي الأرجل التخيير بين الغسل والمسح عملا بالقراءتين[٥٣]، وأوجب النحاس المسح والغسل معا، فقال: (ومن أحسن ما قيل فيه: إن المسح والغسل واجبان معا، فالمسح واجب على قراءة من قرأ بالخفض والغسل واجب على قراءة من قرأ بالنصب، والقراءتان بمنزلة آيتين)[٥٤].

وذهب بعضهم إلى أن المسح محمول على ما إذا كان عليهما خفان[٥٥].

وليس الأخذ بقراءة الخفض مختصّاً على الشيعة كما ذكر المستشرق، وهذا من الأخطاء العلمية عنده كذلك.

وأما المثال [١] عند أرثر جفري وهو ما ذكره من توزيع بعض الخلافات بين المصاحف فذلك كله مترتب على الرواية وإنما وزعت بين المصاحف لأن الرسم الواحد في مصحف واحد لا يحتمل جميع تلك الوجوه. وهذا فيه دلالة واضحة على أن الأمر رواية وليس اجتهاداً لمن تأمل.

قال أبو عمرو في وصف جمع عثمان: (... وعَلِمَ أن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن، إلا بإعادة الكلمة مرتين، وفي رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لا خفاء به، فَرَّقها في المصاحف لذلك...).[٥٦]

وأما مسألة الاختيار التي ذكرها آرثر جفري في المثال [٣] فليعلم أن هذا الأمر دائر عند القراء بين ما صح نقله من الوجوه الروائية الصحيحة المتواترة ولا يخرج عنها بحال من الأحوال.

وليس ثَمة علاقة بين الاختيار ضمن الروايات الصحيحة وبين الاجتهاد المبني على طبيعة الرسم لا على الرواية.

٢. مناقشة ما ذكره في المثال الخامس من أن وجهة النظر الموضوعية عند شيخ المفسرين -قتادة البصري- كانت سببا أدى إلى القراءة المخالفة حيث يقول: (فقوله تعالى: ﴿ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ معناه: اقتلوا بعضكم بعضا، أو كما يعطيه ظاهر اللفظ: فاقتلوا أنفسكم بأنفسكم، وهو متفق مع ما وقع فعلا، كما في المصادر اليهودية، وقد رأى بعض شيوخ المفسرين-قتادة البصري المتوفى سنة١١٧هـ- أن الأمر بقتل النفس أو قتل العصاة من القسوة والشدة بحيث لا يتناسب مع الفعل، فقرأ: (فأقيلوا أنفسكم)، أي حققوا الرجوع والتوبة من الفعل بالندم على ما فعلتم، وفي هذا المثال نرى وجهة نظر موضوعية كانت سببا أدى إلى القراءة المخالفة، وذلك على الضد من القراءات السابقة التي كانت فيها القراءات لا تعدو أن يكون فيها أمراً شكليا.)

وهذا زعم باطل من عدة وجوه:

الأول: أن قراءة (فأقيلوا) قراءة شاذة أصلا فلا يبنى عليها قاعدة؛ كيف وقد تقدم بالحجج النواهض والبراهين الدوامغ أن مصدر القراءات المعتمدة هو النقل والرواية، والتلقي والمشافهة ولا مجال للرأي والاجتهاد فيها، وقراءة قتادة لم ينقلها أحد من القراء الأثبات، وليس لها سند يعتمد عليه.(٥٧)

الأمر الثاني: أنه نقل عن قتادة نفسه أنه فسر الآية بما يخالف هذه القراءة، كما عند ابن جرير وغيره، يقول ابن كثير بعد أن ذكر تفسير قتادة: (وهذان النصان يدلان دلالة واضحة لا خفاء فيها ولا غموض على أن قتادة يرى أن المراد من القتل في الآية الكريمة القتل الحقيقي، وهذا ما يراه جمهور المفسرين خلفاً عن سلف.(٥٨)

الأمر الثالث: أنه على فرض صحتها- وهو محال- فإنه لم يذكر أحد من المفسرين أن قتادة قرأ ذلك لأجل عدم ارتضائه معنى القراءة الأولى. وإنما نقلوا عنه

القراءة بذلك على معنى: أن أنفسكم قد تورطت في عذاب الله تعالى بهذا الفعل العظيم الذي تعاطيتموه، وقد هلكت فأقيلوها بالتوبة والتزام الطاعة [٥٩].

الأمر الرابع: أن القراءة هي التي تحكم المعنى لا العكس، وهذا أمر جلي لمن عنده أدنى بصيرة وعلم.

٣. مناقشة ما ذكره في المثال السادس في قوله تعالى: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ حيث قال: (فقرأ بعضهم بدلا من: (وتعزروه) بالراء: (وتعززوه) بالزاي من العزة والتشريف، وإني أرى في الانتقال من تلك القراءة إلى هذه القراءة – وإن كنت لا أجزم بذلك- أن شيئا من التفكر في تصور أن الله قد ينتظر مساعدة من الإنسان قد دعا إلى ذلك، حقا إنه قد جاءت في القرآن آيات بهذا المعنى: (سورة الحج: ٤٠، ومحمد: ٧، والحشر: ٨، وغيرها)، بيد أن اللفظ المستعمل في هذه الآيات وهو (نصر) يقوم على أساس أخلاقي تهذيبي....)

وهذا الزعم كسابقه من مزاعم المستشرقين إذ هو مبني على قراءة شاذة، لم تستند إلى نقل أو رواية، وهي قراءة ابن مسيفع،[٦٠]، وعلى فرض صحتها- وهو بعيد- فإن الجمهور على أن الضمير فيه يعود للنبي صلى الله عليه وسلم - كما قال الثعالبي- [٦١]، وابن عطية، وغيرهما [٦٢]. وذهب فريق آخر إلى أن الضمائر الثلاثة تعود على الله تعالى، وعليه فيكون المعنى المراد من تعزير الله تعالى تقوية دينه ونصرة شرعه[٦٣].

المبحث الرابع: أشهر المؤلفات في الدفاع عن القرآن.

لما كثرت الشبهات المثارة حول القرآن الكريم وتنوعت وكانت لها آثارٌ ملموسة –كما تقدم – تصدى لها كثير من العلماء بالتفنيد في المصنفات التي صنفوها لهذا الغرض، وهم في ذلك بين مقلٍّ ومستكثر، وبين مؤلَفٍ لكتابٍ مستقل، وآخر في جزء

من كتاب، وقد حاولت في هذا البحث أن أُلخص وأرتب ما ذكروه في هذه المسألة فحسب، مع ما انضم إليه من فوائد وقواعد جمعتها من كتب أهل الفن والدراية.

وتتميماً للفائدة فإني سأذكر أبرز تلك المصنفات التي اشتملت على ذلك -حسب علمي-، لتكون ضمن مراجع الباحث عند مناقشة مسائل هذا الفن بإذن الله، وهي كما يلي:

١- رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات، الدكتور عبد الفتاح شلبي.

٢- رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية للدكتور غانم قدوري الحمد.

٣- الرد على المستشرق اليهودى جولد تسيهر فى مطاعنه على القراءات القرآنية، الدكتور محمد جبل.

٤- القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، الشيخ عبد الفتاح القاضي.

٥- مناهج التفسير، الدكتور إبراهيم خليفة.

٦- تاريخ القرآن، الدكتور عبد الصبور شاهين.

٧- أثر القراءات في الدراسات النحوية، الدكتور عبد العال مكرم.

٨- تاريخ القرآن، الشيخ محمد طاهر الكردي.

٩- القراءات واللهجات، الدكتور عبد الوهاب حمودة.

١٠- الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري، عبدالمحسن بن زبن المطيري.

١١- مقدمة كتاب المصاحف لابن أبي داوود بتحقيق الدكتور محب الدين واعظ.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

بعد دراسة هذا الموضوع وجمع مادته تجلَّت لي النتائج التالية:

١- أن هذا القرآن كتاب محفوظ، لم يتغير ولم يتبدل على مرِّ القرون، مصداقاً لقول الله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾، وكل ما يثار حول ذلك من الشبهات فإنه من الهوى الذي لا دليل عليه.

٢- أن منشأ القراءات هو الرواية والتلقي منذ عهد النبوة، وإنما كتبت المصاحف بعد ذلك لأجل حفظ رسم تلك الرواية.

٣- أن تعدد القراءات سابق للكتابة، وعليه فلا يمكن نسبة نشأتها إلى حال الكتابة، وغاية ما في الأمر أن خلو المصاحف من النقط والشكل سبب معين لاستيعاب القراءات المختلفة في الكلمة والواحدة وليس موجباً لاختلاف القراءات أو مصدراً من مصادرها.

٤- أن مجرد الاحتمالات العقلية لا ترقى لأن يستدل بها على الحقائق العلمية المسلمة.

٥- أن جميع الأدلة التي استدل بها المستشرقون على إثبات شبهاتهم أدلة باطلة لا يصلح الاحتجاج بها.

وفي الختام فإني أوصي الباحثين بجمع الشبهات المثارة حول القرآن وقراءاته من مظانِّها عند المستشرقين، وبيان حقيقتها، ومن ثم ترجمة ذلك إلى اللغات التي تنتج عنها تلك الشبهات. كما أوصي بإنشاء مراكز متخصصة في الدفاع عن القرآن وعلومه تُعنى ببيان حقيقة هذا القرآن والذب عن حماه.

هذا ما تيسر جمعه بحسب الطاقة والإمكان، والله يتولانا بعفوه ومغفرته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلوات الله وسلامه على المبعوث رحمة للعالمين وعلى صحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الهوامش والتعليقات:

(١) صحيح البخاري (باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث٤٩٩٢): (٦/ ٢٢٨)، صحيح مسلم (باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، حديث ٢٧٠): (٢/ ٢٠٢).

(٢) ينظر: المقنع: (ص٦٠٥)، المصاحف لابن أبي داوود: (١/ ٢٥٣).

(٣) الإبانة: (ص ٤٩، ٧٩)، المرشد الوجيز: (ص١٤٩).

(٤) اسمه: اجنتس جولد تسيهر، ولد في (٢٢ يوليو سنة١٨٥٠) بمدينة (استولفيسنبورج) في بلاد المجر، ويعد هذا المؤلف من كبار شيوخ المستشرقين، واشتهر بكتاب المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن. ينظر: الأعلام للزركلي: (١/ ٨٤) ، موسوعة المستشرقين: (ص٢٠١).

(٥) ينظر: كتاب المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن: (ص٤ -٧).

(٦) مستشرق ألماني مشهور. حقق كتاب (مختصر في شواذ القرآن) لابن خالويه. وكتاب: (غاية النهاية لابن الجزري) وغيرهما. وشارك في كتاب تاريخ القرآن لنولدكة. ينظر: موسوعة المستشرقين: (ص٨٥).

(٧) تاريخ القرآن: (٣/ ٤٥٨). وينظر للتوسع في معرفة آرائه والرد عليها: بحث: المستشرق الألماني بيرجشتراسر وآثاره لناصر المنيع. (مجلة جامعة الملك سعود، م ٢٢، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية).

(٨) مستشرق ألماني، من تلامذة تيودور نولدكه، أتقن العربية والعبرية والسريانية، اشتهر بكتابه: تاريخ الأدب العربي. ينظر: موسوعة المستشرقين: (ص٩٨).

(٩) ينظر: تاريخ الأدب العربي: (١/ ١٤٠).

(١٠) وهو مستشرق استرالي، ومشاركته في كتاب تاريخ القرآن لنيولدكة، واشتهر بتحقيق كتاب المصاحف لابن أبي داوود. ينظر: المستشرقون لنجيب العقيقي (ص ١٠١٣).

(١١) ينظر: مقدمة تحقيق كتاب المصاحف لابن أبي داوود: (ص ٧).

(١٢) اشتهر بكتابه: تاريخ القرآن. وهو رسالته للدكتوراه. وله عدة مؤلفات أخرى. ينظر ترجمته في: موسوعة المستشرقين: (ص ٥٩٥).

(١٣) ينظر: تاريخ القرآن لنولدكه: (ص٥٥١، ٥٥٩).

(١٤) مثل: د. جواد علي (مقالته لجهة القرآن الكريم)، وكذا د. عبدالله خورشيد (القرآن وعلومه في مصر وكذا د. صلاح الدين المنجد (دراسات في تاريخ الخط العربي، ود. علي عبد الواحد في بداية أمره لكنه رجع عنه فيما بعد (فقه اللغة). وأما طه حسين فإنه ينسب القراءات للغات واللهجات ولا يراها من الوحي أساسا. ينظر: رسم المصحف للدكتور غانم: (ص٦٠٩)، رسم المصحف للدكتور عبدالفتاح شلبي: (ص٢٠، الأدب الجاهلي لطه حسين: (ص ٩٥).

(١٥) ينظر رسم المصحف للدكتور غانم: (ص٦٠٩).

(١٦) تفسير الكشاف للزمخشري: (٢/ ٧٠). ووافقه أبو علي الفارسي في الحجة في علل القراءات السبع: (٢/ ٥٤٩).

(١٧) ينظر: أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية لعبد العال سالم: (ص ٢٥) نقلا عن المنار في علوم القرآن للدكتور محمد علي الحسن: ١ (/ ١٢٢).

(١٨) وقد كُتبت عدة أبحاث في منهج الزمخشري منها: (القياس النحوي عند الزمخشري وأثره في مواقفه من القراءات القرآنية) منشور بمجلة جامعة أم القرى العدد ١٧لعام ١٤٢٩هـ.

(١٩) رَدَّ على هذا القول أبو حيان بقوله: (وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقا وغربا، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم ومعرفتهم وديانتهم ولا التفات أيضا لقول أبي علي الفارسي..)، البحر المحيط لأبي حيان: (٤/ ٦٥٨). وكذا أجاب السخاوي عن هذا الطعن بقوله: (وإذا ثبتت القراءة عن إمام من أئمة القراءة، فما وجه الطعن فيها؟ وأما الخط، فما اعتمدت الأمة عليه إلا مع النقل، وقد جاءت التفرقة بين المضافين في الكلام والشعر...) وساق أمثلة عليه. فتح الوصد للسخاوي: (٣/ ٩١٤).

(٢٠) ينظر: رسم المصحف العثماني للدكتور عبد الفتاح شلبي: (ص٣٣).

(٢١) النشر: (ص١٢). وأصله عند مسلم باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا (حديث: ٦٣): (٤/ ٢١٩٧).

(٢٢) النشر: (ص١٢-١٣).

(٢٣) ينظر: جمال القراء للسخاوي: (ص ٤٢٥) ، النشر: (ص ٣٢٠).

(٢٤) التفسير من سنن سعيد بن منصور: (١/ ٦٩).

(٢٥) سنن البيهقي (باب وجوب القراءة على ما نزل من الأحرف، حديث: ٣٩٩٥): (٢/ ٣٨٥).

(٢٦) ينظر: الإتقان للسيوطي: (١/ ١٦٥).

(٢٧) النشر: (ص٣١٩).

(٢٨) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين للقاضي: (ص ٧٤).

(٢٩) صحيح البخاري (باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث٤٩٩٢): ٦/ ٢٢٨، صحيح مسلم (باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، حديث ٢٧٠): (٢/ ٢٠٢).

(٣٠) صحيح البخاري (باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث٤٩٩١): ٦/ ٢٢٧، صحيح مسلم (باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، حديث ٢٧٢): (٢/ ٢٠٢).

(٣١) صحيح مسلم (باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، حديث ٢٧٢): (٢/ ٢٠٢).

(٣٢) صحيح مسلم (باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، حديث ٢٧٤): (٢/ ٢٠٣).

(٣٣) أما في زماننا فأصبحت القراءة معتمدة على ثلاثة شروط مشهورة: صحة النقل وموافقة الرسم ولو احتمالا وصحتها في العربية.

(٣٤) ينظر إبراز المعاني لأبي شامة: (ص ٦٣٠).

(٣٥) مناهل العرفان للزرقاني: (١/ ٤١٣).

(٣٦) رسم المصحف للدكتور عبد الفتاح شلبي: (ص ٢٨).

(٣٧) باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا (حديث: ٦٣): (٤/ ٢١٩٧).

(٣٨) النشر: (ص١٢-١٣).

(٣٩) ينظر: رسم المصحف للدكتور عبدالفتاح شلبي: (ص٤٢).

(٤٠) ينظر التيسير: (ص١٢٦، ٣٠٤).

(٤١) (٧/ ١٢٤).

(٤٢) ينظر: رسم المصحف للدكتور عبد الفتاح شلبي: (ص ٤٢).

(٤٣) ينظر: النشر: (ص٥٤٢).

(٤٤) ينظر: المقنع للداني: (ص ٣٤٥).

(٤٥) ينظر رسم المصحف للدكتور عبد الفتاح شلبي: (ص ٣٣-٤٧).

(٤٦) المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره: (١/ ١٢٣).

(٤٧) ينظر: معجم القراءات للخطيب: (٣/ ٦١).

(٤٨) ينظر: البحر المحيط: (٥/ ٥١٣).

(٤٩) ينظر: القراءات في نظر المستشرقين: (ص ٩٠).

(٥٠) ينظر: التيسير للداني: (ص٢٢٩، ٢٤٣).

(٥١) وهي قراءة الحسن البضري كما في مصطلح الإشارات: (ص٣٠٩).

(٥٢) ينظر: القراءات في نظر المستشرقين والملحدين: (ص٩٠).

(٥٣) القراءات القرآنية وأثرها في اختلاف الأحكام الفقهية للدكتور خير الدين سيب: (ص ١٥٢، ١٥٣).

(٥٤) المصدر السابق.

(٥٥) ينظر القراءات القرآنية وأثرها في اختلاف الأحكام الفقهية للدكتور خير الدين سيب: (ص ١٥٠).

(٥٦) ينظر: المقنع: (ص٦٠٥) ، المصاحف لابن أبي داوود: (١/ ٢٥٣).

(٥٧) ينظر: القراءات في نظر المستشرقين والملحدين: (ص٩٠).

(٥٨) ينظر: المصدر السابق.

(٥٩) ينظر القرطبي: (١/ ٤٠٢) ، البحر المحيط: (١/ ٣٧٧).

(٦٠) المحرر الوجيز لابن عطية: (٦/ ١٤٩) ، معاني القرآن للنحاس: (٦/ ٥٠٠).

(٦١) تفسير الثعالبي: (٣/ ٤٥٧).

(٦٢) المحرر الوجيز: (٦/ ١٤٩).

(٦٣) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين: (ص٩٢).

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، مصحف المدينة المنورة للنشر الحاسوبي: طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع: لعبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة الدمشقي، (ت: ٦٦٥هـ)، تحقيق: أحمد بن يوسف القادري، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ.
- الإتقان في علوم القرآن: أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الأعلام، لخير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٢م.
- الأدب الجاهلي. الدكتور طه حسين، مطبعة فاروق، القاهرة، ط٣، ١٣٦٣هـ.
- البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- تاريخ الأدب العربي. كارل بروكلمان، نسخة إلكترونية pdf.
- التفسير من سنن سعيد بن منصور: سعيد بن منصور (ت: ٢٢٧هـ)، نسخة من المكتبة الشاملة الإلكترونية.
- التيسير في القراءات السبع: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مكتبة الصحابة، الإمارات، ط١، ١٤٢٩هـ.
- التيسير في القراءات السبع: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: أوتو برتزل، نسخة إلكتروني pdf .
- الجامع المسند الصحيح (صحيح البخاري): لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق، ط٢، ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.
- جمال القراء وكمال الإقراء: أبو الحسن علي بن محمد (علم الدين السخاوي)، ت: ٦٤٣هـ، تحقيق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة بطنطا، ط١، ١٤٣١هـ.

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، نسخة المكتبة الشاملة.
- الحجة في علل القراءات السبع: لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، (ت: ٣٧٧هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود و علي معّوض والدكتور أحمد المعصرواي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٨هـ.
- رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها: الدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية: الدكتور غانم قدوري الحمد، دار عمار، ط٢، ١٤٣٠هـ.
- السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط٢، ١٤٠٠هـ.
- سنن البيهقي الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.
- فتح الوصيد في شرح القصيد: علم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٦ هـ.
- القراءات في نظر المستشرقين والملحدين: عبد الفتاح عبد الغني القاضي (ت: ١٤٠٣هـ)، دار السلام، ط١، ١٤٢٦.
- القراءات القرآنية وأثرها في اختلاف الأحكام الفقهية: الدكتور خير الدين سيب، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٩هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- المحرر الوجيز: أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، نسخة المكتبة الشاملة.
- مذاهب التفسير الإسلامي: اجنتس جولد تسيهر، نقله إلى العربية: علي حسن عبد القادر، مطبعة العلوم، ط١، ١٣٦٣هـ.

- المسند الصحيح (صحيح مسلم): لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
- مصطلح الإشارات في القراءات الزوائد المروية عن الثقات، لابن القاصح البغدادي، علي بن عثمان بن محمد (ت: ٨٠١هـ)، عمَّان، دار الفكر، ط١، ١٤٢٧هـ.
- معاني القراءات للأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعودية، ط١، ١٤١٢هـ.
- كتاب المصاحف: أبو بكر عبدالله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: الدكتور محب الدين عبد السبحان واغظ، دار البشائر، ط٢، ١٤٢٣هـ.
- المستشرقون، لنجيب العقيقي، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٦٤م.
- معاني القرآن الكريم: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد المرادي (ت: ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى. مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩.
- معجم القراءات: الدكتور عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين، نسخة إلكترونية pdf.
- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، (ت: ٤٤٤هـ)، تحقيق: نورة بنت حسن بن فهد الحميّد، دار التدمرية- الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.
- المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره: الدكتور محمد علي الحسن، الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبدالعظيم الزرقاني (ت: ١٣٦٧)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.
- موسوعة المستشرقين، للدكتور عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.
- النشر في القراءات العشر: الإمام أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، (ت: ٨٣٣هـ)، اعتنى به: نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣١هـ.